طائفة من «الأعلام الجغرافيّة» في العراق

الدكتور إبراهيم السامرّائيّ *

لقد اخترت من الأعلام الجغرافيّة في العراق طائفة ذات فائدة لغويّة وتاريخيّة، وقد استبعدت منها الأعلام التي كثر درسها فعُرفت في الموسوعات التاريخيّة ودوائر المعارف مثل «بغداد». ولم أذكر من هذه الأعلام التاريخيّة إلاّ ما بقي معروفًا في عصرنا في تنظيمات العراق الإداريّة.

وأبدأ هذه الطائفة بمدينة كرديّة عُرفت في التاريخ الإسلاميّ ووردت في الأخبار هي:

١ - إرْبِل:

- قال أهل البلدان ومنهم ياقوت في معجم البلدان:

إرْبِل: وزان «إثْمِد»، ولا يجوز فتح الهمزة.

+ أقول: هذا هو ضبط هذه الحاضرة في التاريخ القديم، ولكنّها الآن «أربيل» وزان «أفعيل» وليس في العربيّة شيء من هذا.

وهي من المحافظات الكرديّة في شمال العراق، وفيها جامعة للآداب والعلوم. وهي في الألسن الدارجة قبل عدّة عقود من السنين

(*) أستاذ في كلّيّة الآداب بجامعة صنعاء، الجمهوريّة اليمنيّة.

«أرويل» بالواو دون الباء، وهذا شيء من الإبدال يعرض للألسن الدارجة.

جاء في معجم البلدان: إرْبِل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق.

+ أقول: وهي في حاضرنا مدينة فسيحة في فضاء من الأرض قد تخلّى عن القلعة التي لم يبق منها إلاّ معالم دارسة.

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو أحمد القاسم بن المظفّر الشهرزوريّ الشيبانيّ الإربِليّ.

وقد صنّف في تاريخ إربل ابن المستوفي كتابه الشهير. وقد طبع هذا في العراق وكان من مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام منذ ما يقرب من ربع قرن، حقّقه وقدّم له الأستاذ الدكتور سامي الصقّار.

ومن المفيد أن أشير إلى ما قاله في «إربل» أنوشروان البغداديّ المعروف بـ«شيطان العراق الضرير»:

نَبِّا لشيطاني وما ضَرَّلا ... لأنّه أنزلني «إربلا»
نزلتُها في يوم نَحْسٍ فما ... شككتُ أنّي نازل «كربلا»

+ أقول: و«كربلا» في البيت الثاني هي «كربلاء» المدينة التي شهدت معركة الطَّفّ، وقُتل فيها أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وسيأتي الكلام عليها.

٢ - الإسكندريّة:

بلدة صغيرة من محافظة بابل.

- قال ياقوت: قرية على دجلة بإزاء الجامدة بينها وبين واسط خمسة عشر فرسخًا.

+ أقول: هي في عصرنا على غير ما ذكره ياقوت من كونها على دجلة، لأنّها كما أشرنا من محافظة بابل، فهي على الفرات.

+ أقول: لعلّ الذي ذكره ياقوت هو قرية على دجلة ذهبت معالمها، فجدّت في عصرنا قرية أخرى على الفرات، أو قد نحمل ذلك على سهوٍ من ياقوت على ما عُرف من ضبطه والتزامه. وليس لنا من علم في سبب التسمية ونسبتها إلى الإسكندر المكدونيّ.

والذي يعزّز كون القرية على الفرات في بابل علمنا أنّ الإسكندر قد وصل إلى بابل، والتاريخ معروف.

٣ - ألوس:

قرية على الفرات قرب عانات والحديثة كما قال ياقوت في معجم البلدان.

وقد تقال بمدّ الهمزة «آلوس»، وهي بهذا النطق في عصرنا.

- قال ياقوت: وإليها يُنسَب المؤيّد الألوسيّ الشاعر المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ، ذكره العماد في الخريدة قسم العراق.

+ أقول: وقد نُسب إليها جمهرة من أهل العلم في عصرنا كان منهم أبو الثناء الألوسيّ صاحب التفسير المشهور، والسيّد محمود شكري الألوسيّ صاحب بلوغ الأرب، والسيّد نعمان خير الدين، ترجم لهؤلاء الثلاثة وغيرهم، الأستاذ خير الدين الزركلي في الأعلام.

٤ - الأنبار:

- قال ياقوت: قال أبو القاسم: «الأنبار»: حدّ بابل، سُمّيَت بذلك لأنّه كان يُجمَع بها أنابير الحنطة والشعير والتبن. وكان يُقال لها الأهراء.

- قال الأزهريّ: واحد الأنبار «نِير»، وجمع الجمع «أنابير».

فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ للهجرة أيّام الخليفة أبي بكر الصدّيق - رضي الله عنه -.

+ أقول: و«الأنبار» في عصرنا محافظة على الفرات الأوسط تتبعها عدّة نواحٍ وتنظيمات إداريّة.

وقد نُسب إلى «الأنبار» طائفة كبيرة، فيهم اللغويّون والنحويّون والمحدثون والشعراء وغيرهم. والنسبة إلى الجمع «أنباريّ».

ويرى الفرس أنّ «الأنبار» كلمة استعارها العرب وتوهّموا في صيغتها الجمع.

جاء في المعجمات الفارسيّة أنّ: «أنبار» بمعنى «امتلاء أو ما يبرزه الإنسان أو ما يكون من ذلك من الحيوان الذي يُتّخذ سمادًا أو مخزن الغِلال والتبن والعَلَف».

+ أقول: ويكاد يتّفق ما جاء في المعجمات العربيّة وما جاء في المعجمات الفارسيّة، وليس القطع في الأمر ممكنًا.

وفي الألسن الدارجة تحوّل «أنبار» إلى «عَنْبَر» و«عُنْبار» بمعنى «المخزن» للبضائع والغِلال.

٥ - بابل:

جاء في معجم البلدان: بابل اسم ناحية فيها الكوفة والحلّة يُنسَب إليها السِّحْر، قال تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ ١٠٢ سورة البقرة.

- قيل: بابل العراق، وقيل: بابل دُنباوَنْد.

- وقيل: لمّا حَشَر الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحًا فحشرتهم واجتمعوا ببابل. فقام يعرُب بن قحطان، أوّل مَن تكلّم بالعربيّة، ولم يزل المنادي ينادي: مَن فَعَل كذا وكذا فله كذا وكذا، حتّى افترقوا على اثنين وسبعين لسانًا، وانقطع الصوت، وتَبَلْبَلَت الألسن فسُمّيت «بابل».

+ أقول: انتهى ما أثبته ياقوت في معجمه، ولكنّنا في هذا العصر

ندرك ما وصل إليه أهل التنقيب في الحضارات القديمة، وقد بدأ هؤلاء درسهم الجادّ منذ أوائل القرن التاسع عشر، فعرفوا اللغة البابليّة الأشّوريّة، وقرأوا النقوش في الألواح، وعلى النُصُب والتماثيل، وعرفوا شريعة حمورابي التي سبقت التاريخ المسيحيّ بعشرات القرون، واكتشفوا مكتبة أشّوربانيبال. وكان من جملة ذلك فوائد تاريخيّة وحضاريّة تتجاوز هذا الذي كان للعرب ممّا أورده ياقوت.

ومن هذا عرفنا أنّ «بابل» لا صلة لها بما يعنيه المصدر «بَلْبَلة» الذي يفيد التفرّق. إنّ «بابل» تعنى «باب إيل» أي باب الإله[1].

ولكن العرب صرفوا الاسم إلى بناء «فاعِل» فكان من ذلك المعنى الذي وصلوا إليه من «البلبلة».

+ أقول: وقد سَمّى العرب في حاضرهم وماضيهم (بابل) في أعلام الذكور، ولكن للنصارى من العرب اتّصال بالسريانيّة التي عُرف فيها «بابل»، فرجعوا إلى الأصل وهو «باب إيل» فكان من أعلامهم «بابيل»، وهذه الصيغة «فاعيل» هي بناء اسم الفاعل في هذه اللغة.

وبهذه اللغة ورد في الأثر «قابيل وهابيل» ابني آدَم - عليه السلام -.

ومن هنا كان من أسماء النصارى «ناصيف»، وهو لدى المسلمين «ناصِف»، وغير هذا. وبابل القديمة في عصرنا موقع أثريّ يشتمل على بقايا الحفائر التي قام بها العلماء المنقّبون في القرن الماضي ثمّ ما كان منها في هذا القرن. وقد شارك في تلك الأعمال علماء ألمان وفرنسيّون وإنكليز، ثمّ خلفهم عراقيّون.

وبابل الحديثة اسم محافظة كبيرة مركزها الرئيسيّ مدينة الحلّة التي سنعرضها لاحقًا. إنّ إطلاق اسم بابل على المحافظة بجملتها كان منذ سنوات قليلة.

---

(١) أقول: من هذا أيضًا: إسرافيل، وعزرائيل وميكائيل. و«جبرائيل» و«جَبْر، وجَبْرا» في العربيّة والسريانيّة تعني «الرجل». وكذلك في العبرانيّة גֶּבֶר (جِبر).

٦ - باجسرا:

- قال ياقوت: باجسرا بُلَيْدة في شرقيّ بغداد بينها وبين حلوان، على عشرة فراسخ من بغداد. خرج منها جماعة من أهل العلم والرواية منهم أبو القاسم عبد الغنى بن محمّد بن خليفة الباجسراويّ، وكان صالحًا، له شعر حسن ورغبة في الأدب، توفّي سنة ٥٣١ هـ.

+ أقول: والذي نعرفه عن هذه البُلَيْدة أنّها الآن «أبوجِسْره». ولا بدّ لنا أن نقول إنّ الاسم الحاليّ «أبوجسره» هو الاسم القديم «باجسرا»، والعامّة في كلّ عصر تذهب في الأسماء إلى شيء آخر.

إنّ «باجسرا» موضع قديم يحمل الأصل السريانيّ، فـ «با» تعني «بيت»، وهذا اللفظ الذي اجتُزِئَ به عن «بيت» معروف في أسماء المواضع والبلدان في البلاد التي عرفت التراث الآراميّ في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام مثل: باخمرا، وباصيدا، وباعشيقا وغيرها.

ولمّا عُرِّبت هذه المواضع ذهبت كلمة «با»، التي هي «بيت»[٢]، وتحوّلت إلى حرف الباء في صدر هذه الأسماء نحو: بعشيقه وبحمدون، وحذفت في أسماء أخرى فقالوا صيدا وسُورا وغيرهما.

وأمّا الألف في آخر هذه الأسماء فهي الألف المعروفة في نهايات الأسماء الآراميّة التي تشير إلى أداة التعريف الآراميّة ثمّ فقدت وظيفتها

---

(٢) من المفيد أن أشير إلى أنّ «با» تتصدّر طائفة من الأعلام اليمنيّة، وهي خاصّة ورثتها اللغة اليمنيّة في ما ورثته من خصائص لغويّة قديمة. إنّ «با» هذه في الأعلام: باحسين، باأحمد، بابكر وغيره هي «أبو»، ولكنّها في لغة اليمن لزمت الألف دائمًا وهذا نجده في الشاهد القديم:

وامّا لسلمى ثمّ وامّا واها فلبيتَ عيناها لنا وفاها
إنّ أباها وأباها أباها قد بَلَغا في المجد غايتاها

والرجز شاهد أيضًا على التزام المثنّى بالألف.

ولي أن ألحق بهذا «الباء» في الأعلام القديمة اليمنيّة نحو: بلحارث، وبالهجيم، وبَلْعَنبر وغيرها من أسماء القبائل. وهذه الباء هي اجتزاء من «بَنُو أو بني».

هذه، وبقيت علامة في آخر الأسماء. وقد ذهبت الألف واكتُفي بالفتحة مع هاءٍ للتأنيث.

٧ - باحزاني:

بُلَيْدة صغيرة في أرض جبليّة من نواحي الموصل في العراق. أهلها أكراد أشدّاء يعتنقون «اليزيديّة» مذهبًا، وهم أهل مذهب باطنيّ يعبدون الشيطان، وبينهم نصارى يدلّ عليهم اسم المكان هذا «باحزاني». إنّه نظير الأسماء القديمة العراقيّة التي تدلّ على التأثير الآراميّ، كما أشرنا في «باجسرا».

ولكن هذا الاسم قد خُتم بالياء على خلاف تلك الأسماء، وهذا يعود إلى أنّ الآراميّين السريان في بلاد العراق نساطرة لهم خصوصيّة لغويّة فيها مجيء الياء[٣]. قد تقول: ولِمَ جاءت الألف في الأسماء الأخرى؟ والجواب أنّ تلك الأسماء قد غلب عليها الطابع الآراميّ. ولم يرد اسم «باحزاني» في معجم ياقوت.

٨ - بادَرايا:

جاء في معجم البلدان: إنّها طَسّوج بالنهروان أو بُلَيْدة بقرب باكسايا بين البَنْدَنيجَيْن ونواحي واسط. منها يكون التمر القَسْب اليابس الغاية في الجودة.

+ أقول: هي في عصرنا «بَدْرة» وأغلب أهلها من الأكراد الفيليّة الشيعة في الحدود الشرقيّة جنوبي بغداد بما يقرب من مئتي كيلومتر.

+ أقول: والاسم يشير إلى الأصل الآراميّ وهي «با» التي تعني «البيت» و«دَرايا» بمعنى «الديار» أو «المنازل».

---

(٣) يدلّ على ميل النساطرة إلى الياء ما عُرف في أعلامهم «متّي» بالياء، وهو «متّى» في السريانيّة الغربيّة ومنه «مار متّى» صاحب «إنجيل متّى»، وكذلك «أدّي» ومنه «أدّي شير» رئيس أساقفة بيعْرْد، وهو الكلدانيّ الآشوريّ.

وما زال هذا الاسم «بيذرايا» يطلق على التمر القَسْب الذي يؤتى به منها.

٩ - باعشيقا:

جاء في معجم البلدان أنّها من قرى الموصل من نواحي نَيْنَوَى شرقيّ دجلة لها نهر جار.

+ أقول: هي في عصرنا «بَعْشيقه»، وهي من القرى التي يسكنها يزيديّون كما ذكرنا في «باحزاني»، وهم أكراد غلاظ شداد. وفيها نصارى نساطرة.

ويعني الاسم «باعشيقا» بيت أصحاب العمل أي الزرّاع الفلاّحين، وأرضها خصبة يُزرع فيها القمح والحبوب، وفيها الشجر كالجوز وغيره.

١٠ - باعقوبا:

جاء في معجم البلدان: قرية بأعلى النهروان، وقال: وظنّي أنّها غير بعقوبا القرية المشهورة على عشرة فراسخ من بغداد.

- أقول: قد يكون ما ظنّه صحيحًا، ولكن الذي يهمّني أنّها بُلَيْدة ذات صيغة سريانيّة صُدِّرت بـ«با» وقد تكلّمنا على ذلك. وهي في عصرنا مركز محافظة «ديالَى». وكأنّها «بيت يعقوب»! ونهر بعقوبا الأعظم «النهروان» وهو نهر كبير بقرب بغداد، وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص. وهو نهر تامرّا بعينه.

١١ - باكسايا:

جاء في معجم البلدان: إنّها بلدة قرب اليَنْدَنيجَيْن وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقيّ في أقصى النهروان، وإليها يُنسَب أبو محمّد عبّاس بن عبدالله بن أبي عيسى الباكسائيّ ويُعرَف بـ «الترقفي»، أحد أئمّة الحديث. توفّي سنة ٢٦٨ هـ.

+ أقول: إنّ باكـايا قرية صغيرة إلى أقصى الجنوب من بغداد في الجانب الشرقيّ، تقرب من مدينة العمارة في محافظة مَيْسان، لا يُحسَب لها حساب في التنظيمات الإداريّة في عصرنا.

والاسم يشير إلى أنّ أهل باكـايا التي أوردها ياقوت في معجمه آراميّون نصارى قبل أن يتمّ فتحها على أيدي المسلمين في «فتوح العراق».

١٢ - بَراثا:

جاء في معجم البلدان: بَراثا محلّة في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبيّ باب محوَّل، وكان لها جامع مفرد تصلّي فيه الشيعة، وقد خُرِّب عن آخره، وكذلك المحلّة...

وفي سنة ٣٢٩ فُرِغ من جامع بَراثا وأقيمت فيه الخطبة، وكان قبلُ مسجدًا يجتمع فيه قوم من الشيعة يسبّون الصحابة، فكبّسه الراضي بالله وأخذ مَن وجد فيه وحبسهم وهدمه حتّى ساوَى به الأرض.

ويزعمون أنّ عليًّا - عليه السلام - مرّ بها لمّا خرج لقتال الحرورية بالنهروان، وصلّى في موضع من الجامع المذكور.

+ أقول: ولم يبق في عصرنا إلاّ ما أثبته الخِطَطيّون ومنهم الدكتور مصطفى جواد من موضع الجامع، فأعيد بناؤه جامعًا ومسجدًا للشيعة تُقام فيه احتفالات دينيّة خاصّة.

والاسم يحمل الصورة الآراميّة شأنه شأن المواضع والحواضر العراقيّة التي خُتمت بالألف كما سنرى.

و«بَراثا» تومئ إلى «البَرْث» في العربيّة وهو الأرض السهلة اللّينة.

١٣ - البصرة:

+ أقول: لم أرد أن أجعل «البصرة» في عدّة أسماء الحواضر في هذا الموجز، وذلك لأنّها مادّة واسعة عُني بها الأقدمون وأهل هذا العصر من

عرب وغيرهم من العلماء الغربيّين. غير أنّي أدرجتها لأقول:

إنّ أهل البلدان الأقدمين ومعهم اللغويّون قد توسّعوا على طرائقهم في ردّ الأسماء القديمة إلى مادّة في العربيّة، فتعسّفوا وخانهم الدرس.

إنّك تجدهم في البصرة كما تجدهم في الكوفة، ذهبوا إلى أنّ البصرة حجارة غليظة كما قال الأنباريّ أبو بكر، وكما قال قطرُب اللغويّ المعروف. وقال غيرهما: حجارة رخوة فيها بياض، وقالوا: فيها الحصى. وقالوا أرض تسوخ فيها القدم...

+ أقول: لعلّ «البصرة» التي مصّرها المسلمون بعد الفتح هي اسم قديم هو «بَصرا» العلم الذي وقفنا على نظائره في حواضر العراق وبلاد الشام.

وقد حوّل العرب في نطقهم الفتح الطويل في آخر الاسم إلى علامة للتأنيث هي هاء التأنيث فكانت «بصرة» كما كانت «كوفة» التي سيجيء الكلام عليها.

- وقال ياقوت: ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في اسم الرجل الذي تُنسب إليه القرية ألفًا ونونًا نحو: «طَلْحَتان»، وهو نهر يُنسَب إلى طلحة بن أبي رافع مولى طلحة بن عبيد الله. و«خِيرتان» نهر منسوب إلى خيرة بنت ضَمْرة القُشَيريّة امرأة المهلَّب بن أبي صفرة. و«مُهَلَّبان»: نهر منسوب إلى المهلَّب بن أبي صفرة، وغير هذا.

+ أقول: ومن هذا شيء آخر ذكره البلاذري في كلامه على البصرة في البلدان[٤]. ولنا أن نعود إلى عصرنا فنجد في حاضر البصرة في بُلَيْدة

---

(٤) أنظر البلدان للبلاذري ص، ص ٣٤٦، ٣٧٢. وقال ياقوت: قال البلاذري: «عبّادان» قطيعة لحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفّان. وقال: قال ابن الكلبيّ: أوّل مَن رابط بعبّادان عبّاد بن الحصين فنُسبت إليه.
ومن هذا: «أُمَيّان» نسبة إلى أبي أُمَيّة، و«جعفَران» نسبة إلى أمّ جعفر، ومثله «خالدان» وغيرها. وانظر: *Grundiss der iranischen philologie* 12, 176, Nöldeke LA 12,183

من أعمالها تُسَمّى أبا الخصيب شيئًا من هذا منه: «يُرسفان» لقطيعة، ونهر لا بدّ أن يكون منسوبًا إلى أحد من الأوائل يدعى «يرسف»، كما نجد «مُهيجْران»، ولعلّها «مُهاجِران» وتحوّلت إلى ما تحوّلت إليه في اللغة الدارجة، ولا بدّ أن يكون صاحب هذه النسبة أحدًا اسمه «مُهاجر».

كما نجد موضعًا في هذه البُلَيْدة يُدعى «باب سليمان»، ولعلّه «باب سَلْمانان». والبصرة اليوم محافظة واسعة تتبعها حواضر وعدّة قرى [٥]. يجري فيها نهر صغير يُدعى «نهر العشّار»، ولعلّ العشّاريّ من الشعراء المتأخّرين منسوب إلى النهر، أو أنّه منسوب إلى آخر كان «عشّارًا» أي يستوفي العُشور. و«أبو الخصيب» هي «بَلَخْصيب» في نطق العامّة.

١٤ - البَنْدَنيجَيْن:

- قال ياقوت: لفظه لفظ التثنية، ولا أدري ما «بَنْدَنَيْج» مفرده.

- قال حمزة: هو بناحية موضع يُسمَّى «وَنْدَنيگان» وعُرِّب على «البندنيجَيْن»، ولم يفسِّر معناه. بلدة مشهورة في طَرَف النهروان من ناحية الجبل، من أعمال بغداد.

- وقال ياقوت أيضًا: وحدَّثني العماد بن كامل البَنْدَنيجيّ الفقيه قال: البَنْدَنيجَين اسم يُطلق على عدّة محالّ متّصلة، وأكبرُ محلّة فيها يقال لها «باقطنايا»، وبها سوق ودار للإمارة ومنزل القاضي، ثمّ بُرَيقيا، ثمّ سوق جميل، ثمّ فِلِشْتُ، وقد خرج منها خلق من العلماء: محدّثون وشعراء وفقهاء وكتّاب.

+ أقول: وقال أهل الدرس في عصرنا الباحثين في «الخطط»:

إنَّ «البَنْدَنيجَيْن» هذه هي «خانِقين» التي أوردها ياقوت في معجمه بكسر النون بعدها قاف وقال: هي بلدة من نواحي السواد في طريق هَمَذان

(٥) إتّسعت رقعة التنظيمات في البصرة فشملت جهات في الخليج، وشبه الجزيرة، ومنها «دبّي» وغيرها.

من بغداد بينها وبين «قَصْر شِيرين» ستّة فراسخ لمَن يريد الجبال.

+ أقول أيضًا: «خانَقين» في عصرنا، بفتح النون، كما أوردها ياقوت، وكذلك «قصر شيرين»، والأولى عراقيّة، والثانية إيرانيّة. والعامّة تقول: «خانْجين»، وهي «خانَه گين» في اللغة الفارسيّة بمعنى «الأرض التي يُنْزَل فيها».

فهل نرى من وجه لنصل بين «البَنْدَنَيْجَيْن» و«خانِقين»؟ ما أرى شيئًا من هذا.

١٥ - تَكْريت:

- قال ياقوت: هي بفتح التاء والعامّة يكسرونها. بلدة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخًا. ولها قلعة حصينة في طرفها القبليّ، راكبة على دجلة، وهي غربيّ دجلة. وكان أوّل مَن بنى القلعة سابور بن أردشير بن بابك لمّا نزل الهَدّ، وهو بلد مقابل تكريت في البرّيّة.

- قال عبيد الله بن الحرّ، وكان قد وقع بينه وبين أصحاب مصعب وقعة بتكريت قُتِل بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه فقال في أبيات:

فإنْ تَكُ خيلي يومَ تكريتَ أحجَمَتْ وقُتِلَ فرساني، فما كنتُ وانيا

وقد فتحها المسلمون في عهد عمر سنة ١٦ هـ. أرسل إليها سعد بن وقّاص جيشًا عليه عبدالله بن المعمّ فحارب أهلها حتّى فتحها عنوةً. نُسب إليها جماعة من أهل العلم.

+ أقول: وقد ورد في المصادر النصرانيّة أنّ أهلها كانوا نصارى، وقد عرفنا من أولئك النصارى أنطون التكريتيّ، وله مصنّفات في الثقافة السريانيّة.

وعُرف أنّ صلاح الدين بن أيّوب قد ولد فيها.

وكانت تكريت في عصرنا هذا بُلَيْدة صغيرة تابعة لقضاء سامَرّا وهي

وسامرّا تابعتان إداريًّا لبغداد العاصمة.

ولمّا قامت ثورة السابع عشر من تمّوز سنة ١٩٦٨م رأت الحكومة أن تجعل «تكريت» مركز محافظة، فنُصِلت عن كونها تتبع سامرّا، ثمّ جعلت سامرّا تتبع تكريت في شؤونها الإداريّة.

وهكذا تتبدّل الحال، فتصبح سامرّا التي كانت عاصمة العبّاسيّين طوال نصف قرن من أعمال تكريت، ولكلّ زمان رأي وحكم ونظام.

+ قلتُ: صارت تكريت في عهد الثورة مركز محافظة صلاح الدين التي فيها سامرّا والدور وغيرهما. وفيها الآن جامعة للآداب والعلوم.

وقد ورد اسم تكريت في النقوش الأشّوريّة بالخطّ المسماريّ، فهي على هذا من المراكز القديمة.

١٦ - تَلّ أعفر:

+ أقول: هذا هو الاسم في كتب البلدان، وقد رُكّبت هاتان الكلمتان لدلالتهما على بُلَيْدة معروفة فكانت «تَلْعَفَر».

- قال ياقوت: هكذا تقول عامّة الناس [أي تلّ أعفَر]، وأمّا خواصُّهم فيقولون: «تلّ يَعْفَر»، وأصله التلّ الأعفر، وهو اسم قلعة ورَبَض بين سنجار والموصل. فيها نهر جارٍ، وهي على جَبَلٍ منفرد. وإليها نُسِبَ الشاعر التَّلَعْفَريّ موسى بن أبي من الذين مدحوا الملك الأشرف.

- أقول: وهذه البُلَيْدة تتبع الموصل

١٧ - الحديثة:

الحديثة القديمة هي التي دعاها ياقوت «حديثة الفرات»، قال:

هي على فراسخ من الأنبار، وفيها قلعة حصينة في وسط الفرات، والماء يحيط بها، دخلها المسلمون في خلافة عُمَر. نُسب إليها جماعة من الرجال من المحدّثين وغيرهم كما أشار الخطيب في تاريخ بغداد.

+ أقول: وهي في عصرنا بُلَيْدة صغيرة على الفرات الأوسط من أعمال محافظة «الأنبار».

١٨ - الحَضْر:

جاء في معجم البلدان: أنّ «الحَضْر» اسم مدينة بإزاء تكريت في البرّيّة، بينها وبين الموصل والفرات. بيوتها وسقوفها وأبوابها مبنيّة بالحجارة المهندمة. كان فيها ستّون برجًا كبيرًا، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، بإزاء كلّ برج قَصْر وإلى جانبه حمّام. ومرَّ بها نهر الثرثار، وكان نهرًا عظيمًا عليه قرىً وجنان.

- وقال الشرقيّ بن القطاجي: لمّا افترقت قضاعة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة، وعليهم ملك يقال له الضَّيْزَن بن معاوية... وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلّها إلى الشام. فنزلَ مدينة «الحَضْر».

+ أقول: إنّها مدينة ظاهرة آثارها، أقبل عليها الدارسون العراقيّون ومنهم فؤاد سَفَر وكتب عنها وأشار إلى أنّ أهل «الحَضَر» بفتحتين عَرَب، وملكهم «سَنَطْرُق»، غير أنّ المشاهد العارف بفنون العمارة القديمة يدرك وهو يشاهد الحضر أنّ هذه الأبنية ذات عمارة رومانيّة في حجارتها ونقوشها وفنّ التماثيل القائمة، ولا سيّما ما كان منها للمرأة. ثمّ إنّه يدرك أنّ هذه الآثار تشبه آثار «بُصرى وإبلا» في بلاد الشام، كما أنّها تشبه ما هو معروف من نظائرها في «البتراء» في الأردنّ. إنّه الفنّ الرومانيّ في الأبنية بأقواسها وعَقْوها، وتماثيل الآدميّين الدقيقة في إبراز الصورة البشريّة.

إنّ «الحضر» مدينة عراقيّة كانت تُعرف باسم «حطارا». عرفت أطلالها وسط بادية ما بين دجلة والفرات المعروفة بـ «الجزيرة» على بعد ثلاثة كيلومترات من وادي الثرثار، وعلى مسافة ٦٠ كيلومترًا من قلعة شرقاط.

ثمّ إنّ لغة نقوش الحجر في حروفها الآراميّة ودلالاتها لا يمكن أن تكون عربيّة، وأهلها عرب كما ذهب الأستاذ فؤاد سفر إلى القول، وإنّ

«سَنَطْرُق» من غير الأعلام التي نعرفها في العربيّة.

وإذا كان في النقوش اسم «سَنَطْرُق» ملك العرب، فهذا لا يبعد عن ورود «العرب أو العربان» في الآثار البابليّة. وقد يعني هذا أن كلمة «عرب وعُربان» أطلقها أولئك الأقوام على القادمين من بلاد العرب (أي شبه جزيرة العرب).

ويؤيّد هذا أنّ لغة النقوش آراميّة برسومها ومعانيها، فلا بدّ أن يكون أهلها آراميّين عاشوا في منتصف القرن الأوّل الميلاديّ.

ثمّ إنّ التشابه في الآثار والخصائص الفنيّة بين آثار الحضر ونظائرها في بلاد الشام والأردنّ يشير إلى أنّ هذه محطّات رومانيّة أقامها الرومان مع أهل البلاد حماية لأمبراطوريّتهم حين كان لها توسّع وامتداد في الشرق.

١٩ - الحِلّة:

- قال ياقوت: هي في اللغة القوم «النُّزول».

وهي عدّة مواضع أشهرها «حِلّة بني مَزْيَد»، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تُسَمَّى «الجامعَيْن».

وكان أوّل من عَمَرها سيف الدولة صَدَقة بن منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد الأسديّ سنة ٤٩٥ هـ.

+ أقول: هي «الحِلّة» في عصرنا مركز م . فظة بابل، وقد مرّ الكلام عليها. ولم يكن اسم بابل هو الشامل العامّ لهذه الجهة بما فيها «الحلّة» وحواضر صغيرة أخرى إلاّ بعد إصلاح التنظيمات الإداريّة في عهد ثورة تمّوز الثانية.

+ أقول: خرج من الحلّة جمهرة من أهل العلم والأدب، ومنهم الشاعر صفيّ الدين الحليّ، والمحقّق الحلّيّ من كبار رجال الشيعة، وشعراء آخرون في القرون المتأخّرة اشتهر من بينهم السيّد حيدر الحلّيّ في

القرن الماضي.

وهي اليوم مدينة عامرة كثيرة النفوس يمرّ فيها الفرات، وهي ذات زرع ونخيل.

٢٠ - حمّام عليّ:

بُلَيْدة صغيرة تتبع الموصل. قال ياقوت: إنّها بين الموصل وجبينة قرب عين القار، غربيّ دجلة، وهي عين ماؤها حارّ كبريتيّ...

+ أقول: يقصدها الناس للاستحمام والعلاج.

٢١ - الحُوَيْزة:

جاء في معجم البلدان: أنّ الحُوَيْزة موضع حازه دُبَيْس بن عفيف الأسديّ أيّام الطائع لله، ونزل فيه بحِلّته، وبَنَى فيه أبنيةً. وليس هذا بدُبَيْس ابن مَزْيَد الذي بنى «الحِلّة» بالجامعَيْن، ولكنّه أسديّ أيضًا.

وهذا الموضع بين واسط والبصرة وخُوزستان في وسط البطائح.

نُسِب إلى الحُوَيْزة قوم منهم عبدالله بن حسن بن إدريس الحُوَيْزيّ من أهل الحديث.

+ أقول: وقد أورد الخاقاني في شعراء العراق غير واحد من الشعراء المتأخّرين اشتهروا بـ «الحويزيّ».

+ أقول أيضًا: إنّ «الحُوَيْزة» قرية حدوديّة بين جنوب العراق وإيران على قرب من «الهور الكبير» الذي يُعرف بـ «هور الحُوَيْزة» إلى الجنوب الشرقيّ من مدينة العِمارة مركز محافظة «مَيْسان». وهي منطقة كَثُر فيها النزاع والحرب بين العراق وإيران منذ عدّة عصور، وما زال هذا إلى اليوم.

٢٢ - الحِيرة:

- قال ياقوت: هي مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، يقال لها «النَّجَف»، زعموا أنّ بحر فارس[٦] كان يتّصل بها. وبالحيرة «الخَوَرْنَق والسدير»، مسكن ملوك العرب في الجاهليّة من زَمن نَصر من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها «حاريّ» على غير قياس.

+ أقول: و«الحِيرة» اليوم بُلَيْدة صغيرة من أعمال محافظة «الديوانيّة» على الفرات الأوسط، وهي منطقة زرع وفلاحة ونخيل.

٢٣ - الخابور:

- قال ياقوت: الخابور من أرضٍ خَبْرةٍ وخَبْراء، وهو القاع الذي ينبت السِّدْر.

و«الخَبار»: الأرض الرخوة ذات الحجارة.

و«الخابوراء»: اسم موضع لعلّ نهر الخابور يمرّ فيه.

و«الخابور»: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.

+ أقول: إنّ نهر الخابور يمرّ في جزءٍ من أعلاه بأرض الجزيرة من بلاد الشام، ويدخل العراق، وعلى ضفافه في العراق قرىً ومواضع منها «فيشر خابور» بُلَيْدة أهلها أكراد.

٢٤ - الخالص:

- قال ياقوت: اسم كورة عظيمة من شرقيّ بغداد إلى سور بغداد.

---

(٦) أقول: إنّ تسمية «بحر فارس» ترد في كتب البلدان العربيّة الجغرافيّة كما وردت في كتاب العين للخليل. وهذه هي التي تُدعى في عصرنا «الخليج العربيّ» وبه عُنِيَ بلاد معروفة. والتسمية القديمة مأخوذة ومسترجاة من عصور الأمبراطوريّة الإيرانيّة التي تنشّحت في البلاد العربيّة هذه. وأذكر وأنا طالب في الإعداديّة كنّا نطلق مصطلح «خليج البصرة» على هذا «الخليج الكبير».

+ أقول: وهو الآن بُلَيْدة في محافظة «دَيالا»[٧]، يمرّ فيها نُهَيْر صغير هو نهر الخالص، وهي منطقة فلاحة وبساتين فاكهة ونخيل.

٢٥ - خانِقين.

أنظر «البَلَدنيجَيْن».

٢٦ - الدُّور:

- قال ياقوت: الدُّور سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد، أحدها «دُور» تكريت وهو بين سامرّا وتكريت، والثاني بين سامرّا وتكريت أيضًا يُعرف بـ «دور عربايي».

+ أقول: إنّ «دور عَربايي» يشير إلى التسمية السريانيّة، ويعني هذا أنّ أهلها عَرَب وآراميّون. وأقول: هذا هو الذي يهمّني من «الدُّور» التي هي مواطن إقامة حضريّة في العراق، وأمّا ما بقي منها فهي خارج العراق.

«والدُّور» الأولى كانت قرية تتبع سامرّا، ثمّ اتّسعت حالها بعد ثورة تمّوز فساوت سامرّا في درجتها الإداريّة.

وقد خرج من «الدّور» هذه في عصور ماضية ونُسِب إليها أبو عمر حفص بن عمر الدوريّ، ترجم له ابن الجزَريّ في طبقات القرّاء ١/ ٢٥٥ وغير هذا كثير.

+ أقول أيضًا: وهي الآن في النطق السائد «دُور» كما نقول «صُوت» في الألسن الدارجة، ولكنّ النسب إليها كما هو في فصيح العربيّة «دُوريّ».

---

(٧) أقول: ديالَى، محافظة ونهر في عصرنا، وأرى أنّها تحمل ما يومئ إلى أصل سريانيّ. ولكنّي لم أجده في المعجمات السريانيّة، ولا في العبريّة.

٢٧ - ذي قار:

+ أقول: هذا موضع قديم هو «ذو قار»، ولكنّ المعاصرين أغفلوا وجه الاسم فلزم الياء في كلّ الأحوال. وهذا الاسم لمحافظة كبيرة تقع على ضفّتَي الفرات الأسفل تشتمل على حواضر وقرى، مركزها «الناصريّة» مدينة واسعة أسّسها ناصر باشا السعدون في العهد العثمانيّ المتأخّر.

«وذو قار» في مصادر التاريخ والأدب ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. وحديث ذي قار مع كسرى والنعمان بن المنذر قد ورد في كتب التاريخ القديم الذي كان منه وقعة ذي قار المشهورة التي انتصر فيها العرب على الفرس.

- وقيل بصدد هذه الوقعة إنّها كانت يوم ولادة الرسول الكريم - صلّى الله عليه وسلّم -.

وقد أشار إليها أبو تمّام في قصيدته التي مدح بها أبا دُلَف العجليّ.

٢٨ - زاخُو:

بُلَيْدة في أقصى شمال العراق منها يدخل القاصد إلى الأراضي التركيّة، أهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى. ولعلّها من «زاخا» السريانيّة بمعنى «النظافة والصفاء».

٢٩ - سامَرّا:

جاء في معجم البلدان أنّها سامَرّا بالقصر، وسامَرّاء بالمدّ، وسُرَّ مَن رَأَ، وسُرَّ مَن راء، وقد ورد هذا كلّه في الشعر.

- قال البحتري:

وأرى المطايا لا قصور بها ... عن ليل سامَرّاءَ تذرَعُهُ

- وقال الحسين بن الضحّاكُ:

سُرَّ مَن را أسَرَّ من بغدادِ فالهُ عن بعض ذكرها المعتادِ

- وقال البحتريّ:

لأرحَلَنَّ وآمالي مطرَّحة بسُرَّ مَن راءَ مُستَبطًى لها القَدَرُ

وهي مدينة بين بغداد وتكريت، شرقيّ دجلة.

- قال أبو سعد: سامرّاء بلد على درجةٍ فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها سُرَّ مَن رأى، فخفّفها الناس وقالوا: سامرّا.

+ أقول: وهي مدينة ما زالت فيها آثار العبّاسيّين والمئذنة الملويّة، وداء الخلافة وبقيّة أطلال القصور. وإلى جوار هذه بقايا خطّة المدينة القديمة في شوارعها وطرقها.

وهذه مجاورة للمدينة الحديثة التي فيها الإمام عليّ الهادي والإمام حسن العسكريّ، وموضع غيبة الإمام المهديّ المنتظر.

والنسبة إليها «سامَرّيّ»، وقد عُرف بهذه النسبة خَلْق كثير من محدِّثين وقرّاء وغيرهم. وأخبار سامرّا في الأدب والشعر مستفيضة[٨].

وكأنّي أرى أنّ «سامرّا» تحمل في بنائها الصيغة الآراميّة في انتهائها بالألف. وأمّا ما قيل من صور تسميتها فذاك شيء ولّده استحسان الشعراء والناس الذين سكنوها وارتضوا إقامتهم فيها فقالوا: سُرَّ مَن رأى وغيرها.

٣٠ - سِنْجار:

- قال ياقوت: سنجار، بكسر أوّله وسكون ثانيه ثمّ جيم وآخره راء: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام. وهي في لِحْف جبل عالٍ.

- ويقولون: إنّ سفينة نوح - عليه السلام - لمّا مرَّت به نطحته،

(٨) أقول: ولي في هذا كلّه مصنَّف رسمته بـإعلام الوَرَى فيما نُسِبَ إلى سامَرّا، طبع دار الحكمة، لندن.

فقال نوح: هذا سِنّ جبل جار علينا، فسُمِّيت «سِنْجار».

- قال ياقوت: ولستُ أحقّق هذا والله أعلم به.

- وقال ابن الكلبي: إنّما سُمِّيَت سنجار وآمد وهِيت باسم بانيها.

- وقال حمزة الأصبهانيّ: «سنجار» تعريب «سِنگار»[٩]، ولم يفسّره.

وهو مدينة طيّبة في وسطها نهر جارٍ.

- وقيل: إنّ السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق وُلِد فيها فسُمِّي باسمها، عن الزمخشريّ.

وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والشعر.

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم من أهل عصرنا منهم أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور الشاعر ويُعرف بالبهاء السنجاريّ.

+ أقول: و«سنجار» اليوم بُلَيْدة بلحف الجبل كما ذكر ياقوت من موضعها، وأهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى من أصول سريانيّة شرقيّة يطلقون على أنفسهم اسم «الكلدان». وأضيف أنّ مَن نُسب إلى سنجار أبو محمّد الأمير حسن بن الأمير يوسف الملقّب بـ «المكزون السنجاريّ» المتوفّى سنة ٦٣٨ هـ (أنظر تاريخ العلويّين للطويل).

٣١ - شِهْرزُور:

- قال ياقوت: شهرزور كورة واسعة بين إربل وهَمَذان، أحدثها زَور بن الضحّاك. و«شِهْر» بالفارسيّة المدينة.

---

(٩) لقد حقّقت في قول حمزة هذا في معجمات اللغة الفارسيّة فلم أجده. وكأنّي أميل إلى أنّ أهل المعرَّب من العلماء العرب لم يكن لهم معرفة حسنة بالفارسيّة على قربهم منها. ونسبة حمزة إلى أصبهان لا تعني شيئًا. وقد تأكّدت أنّ ابن الجواليقي لا يعرف الفارسيّة وإن شعّر في أقواله، ونسب ألفاظًا كثيرة إليها لم تكن فارسيّة.

وأهلها أكراد. وقد خرج منها العلماء وأعيان الفضلاء والفقهاء، يفوقون الحصر. وكثر من أولئك نُسِبوا إليها واشتهروا بـ «الشهرزوريّ».

٣٢ - صيدا (أبو صيدا):

+ أقول: هي بُلَيْدة صغيرة على نهر ديالى، تُعرف بـ(أبو صَيْدا). و«صَيدا» هذه نظير الاسم نفسه «صَيْدا» من حواضر بلاد الشام المشهورة التي تكون في عصرنا في جنوبيّ لبنان.

وهي «باصَيْدا»، و«با» كما بيّنّا في «باعشيقا» و«باعقوبا» تعني «البيت»، وعلى هذا تكون «باصَيدا» تفيد «بيت الصيد». والمدينة على هذا تحمل الصيغة الآراميّة.

+ أقول: والعرب من أهل اللغة والتاريخ ذهبوا إلى تفسير مادّة «صيداء»، يعني الحجر الأبيض تُعمَل منه البرام (جمع بُرمة)، كما فسّروا البصرة والكوفة أنّهما تربة وحجارة رخوة ونحو هذا، وليس لنا أن نقبل هذه التفسيرات.

٣٣ - عانة:

- قال ياقوت: «عانات» بُلَيْدة في أعلى الفرات.

- قال الكلبي: قُرى «عانات» سُمِّيت بثلاثة إخوة من قوم عاد. قال الأعشى:

كأنّ جنيًّا من الزنجبيل خالط فيها، أو إزيًا مَشورا
واسْبَنْطَ عانَةَ بعد الرقاد شكّ الرصاف إليها عذيرا

- وقال: قلعة حصينة على الفرات.

+ أقول: قد تكون الفائدة قليلة لنا، نحن الدارسين، ونحن ننظر في أقوال المتقدّمين كالكلبيّ والشرقيّ ابن القطامي وغيرهما. ولنا أن نعرف أنّها «عانة» و«عانات»، وقد عُرفت «هانا» في العهد البابليّ القديم.

وهي «أناتا وأناتو» في المصادر اليونانيّة والرومانيّة.

+ أقول: إنّ الذي ورد في مصادر الإغريق من أنّها «أناتو أو أناتا» هو معروف في الأكّديّة البابليّة، والرسم المساريّ للهمزة والعين واحد، وقد ظنّ نفر من أهل الآثار أنّ «العين» لا توجد في الأبجديّة الأكّديّة، وهذا وهم.

وفي العربيّة الفصيحة «العانة» القطيع من الحُمُر الوَحْشيّة، قال الشاعر القديم:

وبينا هما عَنَّت على البُعد عانةٌ قد اكتَنَزَت لحمًا وقد طُبِّقَتْ شَحْما

ولكنّنا نجد «عانا» السريانيّة تفيد «الضأن»[١٠].

+ أقول: لعلّ بُلَيدة «عانة» قد سُمِّيت بهذا الاسم الذي يدلّ على الضأن. وهي في عصرنا بُلَيْدة على الفرات في الجانب الأيسر، وفيها جزر في وسط النهر جُعِلت بساتين فيها نخيل وأعناب.

وقد اقتضت مصلحة لبناء سُدّ على الفرات في موضع هذه المدينة أن تُزال ويُرسَم لها موضع آخر يبعد عنها، تُجلب إليه مياه الفرات، فزالت وبكاها أهلها ممّن عرفوا الماضي وكيف عمروها وغرسوا نخيلها وشجرها وشقوا في ذلك.

٣٤ - عين التمر:

- قال ياقوت: هي بلدة قريبة من الأنبار، غربيّ الكوفة، بقربها موضع يقال له «ثِيفانا»، منها يُجلَب القَسْب والتمر. فتحها المسلمون أيّام

(١٠) ربّما اختلفت اللغات السامية في المشترك من اللفظ بينها كما كان في «عانة»، فهي في الآراميّة «الضأن»، وفي العربيّة «حُمر الوحش».
قلتُ: إنّ «الضاد» في العربيّة يقابله العين في الآراميّة، ولذلك كانت «اليعة» التي نُقِلت من السريانيّة الآراميّة بصوت العين لتعني «نيّة النصارى أو الكنيسة»، وكان ينبغي أن تكون «يَيْضة» لأنّها في الحقيقة «بَيْضة» بفاء اللون. قال تعالى: ﴿... لَهُدِّمَت صوامع وبِيَع﴾.

أبي بكر الصدّيق على يد خالد.

+ أقول: نعم قد تقرب «عين التمر» من الأنبار في سعتها القديمة التاريخيّة، ولكنّها الآن تابعة لمحافظة «كربلا»، على طَرَف البادية، وهي بُلَيْدة صغيرة جدًّا.

أمّا قول ياقوت: بقربها موضع يقال له «شفاثا»، فصحيح، وهذه الآن ناحية صغيرة تكثر فيها النخيل، وماؤها من عيون يخالطه مركّبات معدنيّة كالكبريت وغيره. وللعراقيّين في عصرنا مثل عاميّ، يقولون: «ترجو العافية من شفاثا»[11].

٣٥ - الفَلّوجة:

- قال ياقوت: الفلّوجة الكبرى والفلّوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة.

+ أقول: «الفلّوجة» في عصرنا مدينة عامرة من محافظة الأنبار، على الفرات، يمرّ بها الذاهب من بغداد إلى دمشق برًّا. وكان الناس يبدلون من الفاء ثاءً.

٣٦ - كَرْبَلاء:

- قال ياقوت: هي بالمدّ، وهي الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ - رضي الله عنه - في طرف البرّيّة عند الكوفة. فأمّا اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلًا، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُمّيت بذلك. ويقال: كَرْبَلْتَ الحنطة إذا هذّبتها ونَقّيتها، فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدغل، فسُمّيت بذلك.

---

(١١) شفاثا هذه من الأصول الآراميّة التي بقيت في أسماء المواضع والمدن، ولم أهتدِ إلى دلالتها.

وأورد ياقوت أنّ الحسين قال: ما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض كربٍ وبلاء! وأراد الخروج منها فمُنع كما هو مذكور في مقتله.

+ أقول: و«كَرْبَلاء» اليوم مركز محافظة كبيرة ذات بساتين فيها نخيل وشجر يسقيها نهر يدعى «الحسينة» يأخذ ماءه من دجلة.

+ أقول أيضًا: هي بالقصر في اللغة الدارجة، وهي كذلك في لغة الشعر، وممّا ورد من ذلك في لغة الشعر ما نُسب إلى الشريف الرضيّ من قوله في مطلع قصيدة طويلة:

كَرْبَلا لا زلتِ كَرْبًا وَبلا ما لَقِي عندكِ آلُ المصطفَى

وقد وردت ممدودة في قول الرباي بنت امرئ القيس ترثي الإمام الحسين:

إنّ الذي كان نورًا يُستضاء به بكربَلاء قتيلٌ غير مدفونِ

وكأنّي أجعل الأصل هو لغة القصر «كَرْبَلا»، وبذلك أستطيع أن أُلحِق هذه الكلمة بالأصول الآراميّة في أسماء المدن في ما بين النهرين وبلاد الشام.

٣٧ - الكوفة:

- قال ياقوت: و«كوفان» اسم أرض، وبها سمّيت الكوفة. و«كوفان والكوفة» واحد. والكوفة من أرض بابل من سواد العراق. سمّيت لاستدارتها من قول العرب: رأيت كوفانًا وسرفانًا.

- وقيل: سُمّيت «كوفة» لاجتماع الناس فيها، من قولهم: تكوَّف الرمل.

وقد مُصِّرت في أيّام عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - سنة ١٧هـ، وقيل: سنة ١٨هـ.

- وقال قوم: إنّها مُصِّرت بعد البصرة بعامين أي سنة ١٩ هـ.

- قال أبو عُبَيْدة: لمّا فرغ سعد من وقعة رستم بالقادسيّة.

+ أقول: لم يكن للدارسين الثقة التامّة في ما سجّله ياقوت وغيره عن الحواضر القديمة ذات الأصول التي سبقت تاريخ العرب والمسلمين، فقد ذهبوا إلى شيء من القصص التي يختلط فيها التاريخ بالأسطورة. وقد ذهبوا أحيانًا للوصول إلى شيء يرضيهم مذهبًا يقضي بالرجوع إلى تأويل الكِلَم القديم بما يناسب العربيّة، أو قل: إنّهم وضعوا شيئًا فحملوا غيرهم عليه. ألا ترى أنّهم فسّروا البصرة والكوفة وصيدا بشيء يتّصل بالأرض والحجارة وبسطوا على كلّ من هذه لونًا يميّزها؟

+ أقول: لا بدّ لي أن أذهب إلى أنّ «الكوفة» من الكلم القديم «كوفا» التي تومئ إلى الصيغة السريانيّة، وأنّ العرب حين واجهوا هذا ومثلها باعقوبا وبعشيقا، نظروا إلى الألف الأخيرة وهي فتحة طويلة، ومالوا إلى تأنيث هذه الألفاظ فأضافوا هاءً محتفظة بفتحة قبل الهاء على غرار المؤنّثات في العربيّة فصارت: كوفة وبصرة وبعقوبة وبعشيقة. كما مالوا إلى هذا في الكلمات الأخرى نحو سوريا[١٢] وتركيا وإيطاليا، وفرنسا وغيرها، وجعلوها: سوريّة وتركيّة وإيطالية وفَرَنْسة....

وكأنّي أستدلّ على هذا الرأي في «الكوفة» بما ورد في مصادرنا في «كُوثى»[١٣] أو «كُوثا» فقيل: كوثى: موضع بسواد العراق في أرض بابل، وهي سُرّة السواد.

+ أقول: لا بدّ أن يكون هذا الموضع أصلًا لـ«كوفا» التي تحوّلت إلى «كوفة». وبين الثاء والفاء إبدال كثير في العربيّة، فقالوا: جَدَث وجَدَف، وقالوا: ثآليل وفآليل. وعامّة العراقيّين يقولون «ثلّوجة» للفلّوجة التي مرَّ ذكرها. وسمعنا لدى القرويّين مَن يقول: «فلْج» للثلْج.

---

(١٢) قيل في «سوريا» إنّ هيرودتس الإغريقيّ حين مرّ بهذه المواضع حسبها بلاد «الأشوريّين» فكانت لديه أشوريا أو أسّوريا، ومن هذا جاء الاسم «سوريا».

(١٣) و«كوثى» من أسماء مكّة - حرسها الله -.

٣٨ - المدائن:

- قال ياقوت: هي عدّة مدن عراقيّة اسمها بالفارسيّة «نوسفون» (طَيْسَفون)، وهي بما يقرب من ٣٥ فرسخًا جنوبيّ بغداد. إتّخذها سعد بن أبي وقّاص مقرًّا له في فتح العراق. واتّخذها الفرثيّون مَشْتًى، وأعقبهم الساسانيّون فاتّخذوها عاصمة.

+ أقول: في هذه المدينة «طاق كسرى» أو إيوان كسرى الذي ورد ذكره في سينيّة البحتري الشهيرة التي مطلعها:

صُنتُ نفسي عمّا يُدَنِّسُ نفسي وتَرَفَّعتُ عن جَدا كلِّ جِبسِ

وفي هذه المدينة قبر الصحابيّ سلمان الفارسيّ، ويطلق عليه العراقيّون كما يطلقون على البُلَيْدة كلّها «سلمان پاك» و«پاك» هذه تعني «النظيف والطاهر» بالفارسيّة.

وبقي «سلمان پاك» هو المعروف في التنظيمات الإداريّة، ثمّ اجتهد أولو الأمر فأعادوا كلمة «المدائن» إلى هذه البُلَيْدة كما أعادوا أسماء قديمة أخرى إلى حواضر كثيرة مرّت بنا في هذا «الموجَز».

٣٩ - المَوْصِل:

- قال ياقوت: المَوْصِل إحدى قواعد الإسلام، قليلة النظير كِبَرًا وعِظَمًا وكثرة خَلْق وسَعَة رُقعة. وهي بابُ العراق، ومنها يُذهب إلى خراسان، ومنها يُقصَد إلى أذربيجان لأنّها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وَصَلت بين دجلة والفرات، وقيل: وصلت بين سِنْجار والحديثة.

+ أقول: هي في عصرنا حاضرة مهمّة ذات قيمة تاريخيّة واقتصاديّة، وهي أمّ الربيعين مركز محافظة كبيرة اختير لها الاسم الأشوريّ القديم «نَيْنَوى» التي تشمل عدّة مدن وحواضر وقرى.

ولا بدّ من القول في نبذة موجزة عن «نَيْنَوى» فأقول:

هي عاصمة الأشوريّين في الألف الأوّل قبل الميلاد التي ورد ذكرها في سفر التكوين من العهد القديم، وقد أشير إلى نمرود الذي أسّسها في سهل «شنعار». وهناك إشارات أخرى إلى هذه الحاضرة في سفر ناحوم من أنبياء بني إسرائيل.

ولم أهتدِ إلى معرفة معنى «نينوى» في ما بين يديَّ من مراجع يسيرة، ولم يُشر الغربيّون إلى هذا وهم يبحثون وينقّبون في آثار الأشوريّين ومدينتهم هذه «Ninive».

+ أقول: وقد خرج من الموصل جمهرة من أهل العلم، ونُسب إليها عدد كبير منهم[١٤].

وللموصل شهرة حضاريّة عُرِفت في فنون الصناعات ومنها صناعة النسيج. وحديث «موصلايا» ودلالتها معروفة.

٤٠ - مَيْسان:

- قال ياقوت: هو، بفتح فسكون وسين مهملة وآخره نون، اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط، قصبتها ميسان.

وفي هذه الكورة أيضًا قرية فيها قبر «عُزَير» النبيّ - عليه السلام - مشهور معمور، يقوم بخدمته اليهود، ولهم عليه «وقوف» وتأتيه النذور، وأنا رأيته. ويُنسَب إليه «مَيْسانيّ ومَيْسَنانيّ». وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، لمّا فتحت مَيْسان في أيّامه ولاّها النعمان بن عديّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثان... وكان من مهاجرة الحبشة، ولم يَوَلِّ عُمر أحدًا من بني عَدِيّ ولايةً قطّ غيره لِما كان في نفسه من صلاحه.

وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى مَيْسان فأبَتْ عليه فكتب النعمان إلى زوجته:

---

(١٤) كان من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة كتاب مفيد عنوانه تاريخ الموصل.

ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حليلَها ... بمَيْسان يُسقَى في زجاجٍ وحَنتَمِ
إذا شئتُ غنّتني دهاقين قَريةٍ ... وصَنّاجة يجثو على حَرْفِ مَنْسِمِ
فإنْ كنتَ نَدماني فبالأكبرِ اسْقني ... ولا تَسْقِني بالأصغر المُتَثلِّمِ
لعلّ أمير المؤمنين يَسوءُه ... تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتهدِّمِ

فبلغ ذلك عمرَ، فكتب إليه:

بسم الله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز غافر الذنب وقابل التَّوْب شديد العقاب... أمّا بَعدُ فقد بلغني قولك: «لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه». وأيمُ الله، لقد ساءني ذلك، وقد عزلتك.

+ أقول: وقد أُطلِق اسم مَيْسان في عصرنا على القرية الصغيرة التي فيها قبر «العُزَير» نبيّ الله - عليه السلام -. لقد كان هذا قبل ما يقرب من خمسين سنة. ثمّ تنبّه أهل الرأي إلى ما كان منهم فعادوا إلى الاسم ونزعوه عن القرية وأطلقوه على رقعة واسعة جدًّا، وجعلوه محافظة مركزها مدينة «العمارة» على الجانب الشرقيّ من دجلة بين واسط والبصرة.

٤١ - النَّجَف:

- قال ياقوت: بظهر الكوفة كالمسنّاة، تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها. وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - عليّ بن أبي طالب. وقد ورد ذكر الموضع في الشعر ولا سيّما حين يعرض الشعراء لرثاء الإمام، قال عليّ بن محمّد العلويّ المعروف بـ«الحِمّانيّ الكوفيّ»:

فيا أسَفي على النَّجَف المُعَرَّى ... وأرضيةٍ منوّرة الأقاحي

+ أقول: وكانت مدينة النجف تابعة لمحافظة «كَرْبلا»، ثمّ رأت الحكومة أن تجعلها محافظة لمكانتها الدينيّة والعلميّة، فكان هذا منذ ما يقرب من ربع قرن.

٤٢ - نَيْنَوى:

أنظر «المَوْصِل».

٤٣ - هِيت:

- قال ياقوت: هي بُلَيْدة على الشاطئ الغربيّ من الفرات في الرقعة الواسعة التي دُعيت «الأنبار». وقد عُرفت بـ«القار» وهو المعروف لدى أهل الصنعة.

+ أقول: وهذه المدينة هي التي ذكرها المعرّي في شعره:

هاتِ الحديثَ عن الزوراء أو هيتا ومرقد النار لا تكرى بتكريتا

٤٤ - واسط:

- قال ياقوت: هي عدّة مواضع منها: واسط الحجّاج وهو أعظمها وأشهرها، سُمّيت لتوسّطها بين البصرة والكوفة.

+ أقول: لم يكن معروفًا أمر واسط قبل ربع قرن إلاّ في أطلالها وبقاياها في حجارة وجُدُر متناثرة بعيدًا عن نهر الفرات ببضعة كيلومترات. غير أنّ أولي الأمر جريًا مع سياستهم التنظيميّة في الحواضر والمدن أعادوا هذا الاسم إلى المنطقة التي كانت تُعرف بـ«لواء الكوت»[١٥] أو محافظة الكوت في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، فكانت «محافظة واسط».

خاتمة

هذا موجز بأهمّ الأعلام الجغرافيّة في العراق، ذات الأصول الجغرافيّة القديمة، وما عُرض لها في مسيرتها التاريخيّة. وقد ابتعدتُ فيه عن المشهور مثل «بغداد» وغيرها، وذلك لكثرة ما كُتِبَ فيها وصُنِّف.

---

(١٥) «الكُوت» حاضرة حديثة أنشأها الناس حول ما كان «COT» في الإنكليزية، وهو المنزل الصغير الذي أقامه الإنكليز في القرن التاسع عشر نقطة ومركزًا لهم على طريق الهند، وهذا المنزل نظير «كُوت الزَّين» و«كُوت الإمارة» وغيرها. ولا بدّ أن يكون أوّل قيام «الكويت» هذا.